العلاقة السياقية
بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم

د. إبراهيم صبر الراضي
كلية الآداب / جامعة ذي قار/ العراق

الملخص

يزخر القرآن الكريم بالكثير من أساليب العرب في لغتهم، ومن بين هذه الأساليب أسلوب القسم الذي اقتضت ضرورة البيان القرآني الإتيان به لقصد تمكين فكرةٍ في ذهن المخاطب أو المتلقي، وهذا البحث يتناول العلاقة السياقية بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم من خلال تبيان الصلة الرابطة بينهما في سياق النص القرآني الكريم .

Summary

Abounding Quran lot of methods Arabs in their own language, and among these methods style section which necessitated the need for the statement Quranic bring him to inadvertently enable the idea in the mind of the addressee or recipient, and this research addresses the contextual relationships between the divided and apportioned in the Koran to demonstrate relevant Association between them in the context of the Quranic text Quran.

حدود البحث :

كلنا يعلم أن القسم الوارد في القرآن الكريم ـ من حيث المُقسِم ـ نوعان، قَسَمٌ أقسم الله تعالى به، وقَسَمٌ أقسم به غيره من الرسل أو عامة الناس، وهؤلاء مخلوقون لا يجوز لهم القسم بغير الخالق عزّ وجلّ ، وأما الله فيقسم بمن شاء وبما شاء.

وسنتناول في بحثنا قسمه تعالى؛لأن العلاقة السياقية فيه بين المقسم به والمقسم عليه تتضح أيّما اتضاح .

خطة البحث:

الأقسام التي في القرآن الكريم من حيث المقسم به نوعان، الأول قَسَم مفرد، أي أن المقسم به واحد ولم يُضَم إليه قَسَم آخر، سواء ورد في آية واحدة فقط، أم تكرر في آيات عدة. والثاني قَسَم متعدد، وهو ما يكون المقسم به أكثر من واحد، وهو ما ورد بقسم الله تعالى بأمور متعددة جمعها في آية واحدة أو أكثر من آية وجعل لها جميعاً مقُسَماً عليه واحداً.

وخطتنا استلزمت البدء بالقَسَم المفرد ثم تلاه القَسَم المتعدد، معتمدين في ذلك تسلسل السور في القرآن الكريم التي ورد فيها أسلوب القَسَم المتعدد.

مقدمة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليب كلامهم ومناحي خطابهم ، وكان من تلك الأساليب أنهم إذا أرادوا تأكيد خبر أو تقريره جاؤوا بالقسم. وعلى هذا يجد كل من جالس القرآن وتدبر آياته أسلوب القسم في البيان القرآني ظاهرة لافتة استعملها القرآن الكريم لتأكيد فكرة في ذهن المتلقي وتمكينها من نفسه وتقويتها، فحينما نزل القرآن للناس كافة، وقف الناس منه مواقف شتى، فمنهم مَن كان شاكّاً، ومنهم مَن أنكر، ومنهم مَن وقف موقف الخصم الألد، فجاء القسم في القرآن ليزيل شكوك الشّاكّين، ويبطل أدلة المنكرين، ويرد على الأعداء المخاصمين، ويقيم الحجة عليهم، ويؤكد الأخبار التي أراد تعالى توكيدها، لتطمئن إليها نفس المخاطب وتتقبلها. فجاء قسمه سبحانه متنوعاً، فمرة أقسم بذاته وأخرى بحياة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومرة بمخلوقاته.

وجملة القسم ـ كما هو معروف ـ تتركب من أربعة أركان أو أجزاء هي: فعل القسم، وأداته، والمقسَم به، والمقسَم عليه. وهذا البحث يتناول العلاقة السياقية بين المقسَم به والمقسَم عليه في القرآن الكريم . وقبل أن ألج في صلب البحث ارتأيت أن أقسّمه على جملة من المسائل نراها كفيلة بالإحاطة بالموضوع وتقديمه بصورة متناسقة.

السياق لغة واصطلاحاً:

السياق لغة: جاء في الصحاح (يُقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على أثر بعض ، ليست بينهم جارية ... والسياق نزع الروح)[1] .

وفي أساس البلاغة: (ساق النعم فانساقت ... ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساقت الريحُ السحابَ)[2] .

أما في لسان العرب فـ (السَوَق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً ... وساق إليها الصداق والمهرَ سياقاً وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستُعمِل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها، والسياق المهر)[3].

وفي المعجم الوسيط:(ساق الحديث سرده وسلسله، وإليك يُساقُ الحديثَ بوجه)[4].

ومن هذا يتبين أن سياقَ الكلام تتابعُهُ وتراسلُهُ وأسلوبُهُ الذي يجري عليه، فهو إذن بهذه المعاني يعني التتابع أو الإيراد.

السياق اصطلاحاً: السياق من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق في الدراسات اللغوية الحديثة. وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة (Semantics) تماسكاً وأضبطها منهجاً[5].ولكن ذلك لم يمنع المختصين من الخوض في غمار تحديد المصطلح، فهو عند أحدهم: (تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة ويتحدد من خلالها المعنى المقصود)[6].

ويرتبط مفهوم السياق اصطلاحاً بقرائنه التي تساعد على فهمه، وعليه فـ (المقصود بالسياق، ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى)[7]. وهو بهذا يشمل القرائن اللفظية والحالية؛ لأنها هي التي تصاحب اللفظ وتؤدي إلى توضيح المعنى[8]. ويمكن القول أن السياق هو (الإطار الجملي الذي ترد فيه كلمة أو أكثر،

وأغلب استعمالات الكلم أنها لا ترد مطلقة باعتبار السياق مورداً لهذه الكلمة أو تلك، ويكون السياق بليغاً إذا جعل للكلمة التي ترد فيها معنىً لافتاً أو راقياً)[9].

مفهوم العلاقات السياقية :

بعد ذكر مفهوم السياق في اللغة والإصلاح يحتم علينا مدار البحث أن نعرض لمفهوم العلاقات السياقية؛ لأنها المرتكز الذي يعتمده البحث في دراسة العلاقة بين المقسَم به والمقسَم عليه في القرآن الكريم .

إن دراسة النصوص الإبداعية- وخاصة القرآن الكريم؛ لأنه نص أدبي من نسيج خاص - تكشف أن للعلاقة السياقية أهمية كبيرة في بناء تلك النصوص، واتساقها وانسجامها، وان تناول مفهوم العلاقات السياقية من قبل الباحث - أي باحث كان - سيعيده (إلى مفهومين لسانيين مهمين هما: العلاقة والسياق، وهما يشكلان القاعدة البنائية الأساسية للنص أياً كان نوعه ، لعلاقتهما المباشرة بتوفير مقومات السبك النحوي كاملة واستراتيجياته؛ كونه ((يعنى بكيفية ترابط مكونات البنية السطحية نحويا))، إضافة إلى إسهاماته المباشرة في تنظيم عالم النص كاملا)[10].

والباحث في تحليله الروابط النصية الموجودة داخل النص الأدبي، يكتشف أن العلاقة هي العنصر أو المظهر النحوي الدلالي الذي يربط أجزاء النص على المستويين: الشكلي - أي الخارجي والدلالي أي الداخلي - للنص[11]، وبذلك نرى أن العلاقة هي التي أحدثت التماسك الذي لا يعدو عن كونه (مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص التي من دونها يصبح النص مزقاً أو أشلاء لا رابط بينها)[12].

إذا اتضح لنا- من خلال ما تقدم - مفهوم العلاقة يبقى أن نفهم ما هو السياق، حتى تكتمل صورة العلاقات السياقية وفهمها.

إن بحث السياق في علم اللسانيات والنحو - في نظر المنصف عاشور - يعد من أعسر القضايا وأعلقها؛ لأن كل ما يقوم به الباحث في هذا المجال اللساني، لا يتعدى توضيح سياق الجمل الدلالي، الذي ينبئ عن الخصائص التركيبية والمعنوية لتلك الجمل[13]. وهذا يعني (الاعتماد على العلاقات الدلالية التي تقوم بين الألفاظ على مستوى الجملة، وبين الجمل على مستوى النص)[14].

وبهذا التناول لمفهوم السياق يبدو أن العملية هي عملية وصف للنص المدروس لا أكثر، والدليل على ذلك أن المتتبع والباحث لا يظفر بتعريف جامع مانع للسياق حتى في أكثر المصادر تخصصاً بعلم اللغة النصي، وان الدراسات التي قامت بوصف السياق وتحليل عناصره أثبتت أن تحقيق السياق ووصفه يعانيان من مشكلتين رئيسيتين هما الانغلاق التام أو الانفتاح التام[15].

الاتجاه الأول الذي يجعل من السياق مجرد علاقات تعنى بترابط المركبات النحوية والدلالية في بناء الجملة داخل النص، وتبعده عن كل ما هو خارج هذه التتابعات التركيبية، هذا الاتجاه يمثله المنصف عاشور، الذي يذهب إلى القول أن (المقصود من السياق النحوي كيفية التعليق بين المركبات النحوية في بنية الجملة العربية، فالجملة قاعدتها العلاقات المولدة للأبنية والنماذج، وتلك النماذج موحدة للقوانين العامة التي تحدد نحو الجملة في إطار النظريات النحوية العربية وعلم اللسان العام)[16].

ونحن نلتمس العذر للمنصف عاشور في جعله السياق قوة ربط داخل النص فحسب؛ لأنه نظر إلى السياق من وجهة محددة هي الوظيفة النحوية، ولم تكن نظرته إليه نظرة شمولية منفتحة بكونه قوة تنظم عالم النص وتتحكم ببنائه داخلياً وخارجياً.

وهذا ما يمثله الاتجاه الثاني المنفتح الذي ينظر إلى النص بعدّه يتكون من عالمين داخلي وخارجي، وأن السياق هو القوة التي تمثل هذين العالمين المكوّنين للنص، وتربطه ـ أي النص ـ بالأطراف الثلاثة لمعادلة الاتصال اللغوي: الباث، والمستقبل، وقناة الاتصال. وإلى هذا يذهب كلر في قول له نقله وليم راي، وهذا نصه : (إن السياق الذي يحدد معنى الجملة لا ينحصر في جمل النص الأخرى، بل انه تركيب معقد من المعرفة والتأملات بدرجات مختلفة من التجديد، وهو بمثابة نوع من القدرة التأويلية)[17].

وبناءً على هذا الرأي يتضح جلياً أن (السياق هو قدرة أو قوة تربط النص بالعوالم المشكلة له، وتربطه بالمعارف المكونة له، فلا ينحصر بالجمل المتتابعة داخل نطاق النص فحسب، فهو العلاقة التي تفسر وتعزز الجانب الاتصالي للنص)[18].

أهمية العلاقات السياقية :

مما تقدم من قول نجد أن العلاقات السياقية هي الأساس في عملية بناء النص، وهي محوره، ومن دونها يظهر ـ أي النص ـ وكأنه مقاطع صوتية غير مفهومة . وعليه فإن العلاقات السياقية تقوم بالوظائف التالية:[19]

أ- إنتاج نص متماسك، لأنها تعطي سمة المقبولية من قبل المستقبل، فإن هذا يضمن نجاح عملية الاتصال اللغوي، وذلك لتحقيق معايير النصية، أو الكفاءة النصية.

ب ـ تجعل النص شبكة نسيجية من الصعب فكّ عراها؛ لأنها تُعزّز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تترابط فيما بينها لتشكّل النص؛ وذلك على اعتبار أن النص هو (نسيج من الكلمات يترابط بعضها مع بعض)[20].

ج ـ أن الفعل النسيجي الذي تقوم به هذه العلاقات يعزز المنحى التداولي للنص ويؤدي إلى نجاحه واستمراره فالحديث عن العلاقات السياقية ليس حديثاً عن علاقة لفظية بأخرى داخل الجملة، وإنما علاقة جملة بأخرى، ومعلوم أن مستخدم اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة، وإنما يكون تواصله على أساس النص، وهذا ما ذهب إليه سعيد بحيري في كتابه (علم لغة النص)[21].

وأن وجود المكوّن التداولي إضافة إلى المكونين النحوي والدلالي، سيؤدي إلى تحديد مدى مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً، وهذا كله في النهاية يؤدي إلى التأثير الإيجابي في نفسية المتلقي، مما يجعله يتفاعل مع النص باستمرار.

د ـ تعمل العلاقات السياقية على تحقيق الفَهْم الصحيح للنص، وتنظيم أفكاره، وتتابعاته الدلالية المختلفة؛ نظراً لما توفره من السبك القائم على الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط، والاتساق المعجمي أو الانسجام المعجمي، وهذا من شأنه أن يجعل الأجزاء النصية تقوم بوظائفها الحقيقية ضمن كل مرحلة من المراحل المنجزة.

القَـسَـــــم :

حدُّهُ في اللغة، قال ابن سيده: (اعلم أن القَسَم هو يمين يُقسِم بها الحالف ليؤكد بها الأشياء يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى ،

فالجملة المؤكَّدة هي المُقسَم عليه ، والجملة المؤكِّدة هي القَسَم ، والاسم الذي يدخل عليه القسم هو المُقْسَم به)[22].

وفي لسان العرب، قال ابن منظور: (القَسَمُ بالتحريك: اليمين ، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حَلَف له، وتقاسم القوم: تحالفوا ... وأقسمتُ: حَلَفْتُ، وقاسمهما: أي حلف لهما، والقسّامة الذين يحلفون على حقّهم ويأخذون)[23].

وفي الشرع هو (ربط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنىً معظّم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً)[24].

صيغته :

القسم له صيغة أصلية وهي أن يؤتى بالفعل (أُقسِم)، أو (أحلِفُ) متعدياً بالباء إلى المقسَم به، ثم يؤتى بالمُقسَم عليه، وهو المُسمى جواب القسم ، نحو قوله تعالى: (واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت)[25].

ولما كثر القسم في كلام الناس مالوا إلى حذف فعل القسم واكتفوا بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، نحو قوله تعالى: (والليل إذا يغشى)[26]، وبالتاء في لفظ الجلالة، نحو قوله تعالى: (تالله لأكيدنَّ أصنامكم)[27]، والعوض بالتاء قليل،أما بالواو فكثير[28].

تاريخية القسم :

عرف الإنسان أسلوب القسم منذ القدم، وكان من عادته ـ أي الإنسان ـ إذا احتاج إلى تأكيد خبر سمعه، أو وعد قطعه، أو رغبته في الاطمئنان إلى كلام محدثه، أو رغبته في اطمئنان محدثه إلى ما يقوله هو، وهو أمر شائع بين البشر، أفراداً وجماعات، ولا سيما في ما عظم من أمور كالمعاهدة بين قوم وقوم،أو بين ملك ورعيته، أو بين أفراد الناس ليكونوا على ثقة من بعض، فيعلموا الموافق من المخالف،ويميزوا الولي من العدو، فمثل هذه الحاجة إلى التأكيد والاطمئنان دعتهم إلى استنباط القسم، إذ عبروا عنه بمصافحة اليد اليمنى لليد اليمنى، وهذا ـ كما يبدو ـ أصل كلمة اليمين[29].

والتعبير عن القسم باليمين معروف عند العرب والروم والعبرانيين، (فجاء في الزبور ص 144 عدد 8 ((الذين أفواههم تنطق سوءاً ويمينهم يمين كذب))[30]، أي: قسمهم قسم كذب.

وجاء ذكر العقد بصفقة الكف في أمثال سليمان (عليه السلام) في التحذير عن الضمانة ص 6 عدد((1)): (يا بني إن ضمنت صاحبك فصفقت كفك لغريب)[31].

ومن هذا نجد أن العرب والعبرانيين قد تشابها في أمر العقد وصارت كلمة اليمين اسماً للقسم عندهم .

ومن طرق العرب في التعبير عن القسم، أنهم كانوا يغمسون أيمانهم في إناء ماءٍ إذا كانوا كثيرين؛ ليدلوا بذلك على أخذ بعضهم يد بعض وأنهم أجمعوا أمرهم بما مسّهم شيء واحد .

ومن طرقهم أيضاً أنهم عبروا عنه ـ أي عن القسم ـ بأخذ العطر واقتسامه بينهم، ومسح أيديهم به، فراحوا وعبقُهُ يضوع من أيديهم وثيابهم، كما كان ذلك في الجاهلية، وقصة (عطر مَنْشِم) معروفة[32]، حتى قال زهير بن أبي سلمى:[33]

تداركتما عبساً و ذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر مَنْشِمِ

وعبروا أيضاً عن القسم بوصل بعضهم حبلَهُ بحبل الآخر، حتى صار الحبل اسماً لعقد الذمة والجوار، جاء في التنزيل: (بحبل من الله وحبل من الناس)[34]، أو حرّموا على أنفسهم بعض المشتهيات حتى يفعلوا ما يوجبوا على أنفسهم وسمّوه (نذراً) أي يميناً أو ربما كفّوا عن شيء من غير شرط ، وسمّوه (أَلِيَّةَ)، كما جاء في القرآن (للذين يؤْلون على أنفسهم تربص أربعة أشهر)[35]. وبعد ذلك توسع استعمال هذه اللفظة، فصارت (أليتُ) بمعنى (أقسمتُ)[36] .

أركان القســـــم :

للقسم أربعة أركان :

الأول : المُقسِم: وهو إما الله تعالى، وإما الناس.

أما القسم من الله فـ (قد قيل: ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مصدّق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد)[37]. وأجيب عن هذا التساؤل: بأنّ القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القَسَمُ

إذا أرادت أن تؤكد أمراً، كما أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم، وذكر الله تعالى النوعين في كتابه؛ حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ((شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم))، وقال: ((قل إي وربي إنه لحق))[39][40]. ففي (الآية الأولى : فصل الحكم وقرره بالشهادة . وفي الثانية : قرره وأكده بالقسم)[41]. وذكر السيوطي في الإتقان أن رجلاً من الأعراب (لمّا سمع قوله تعالى: ((وفي السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحقّ))[42]، صرخ وقال: مَنْ ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه لليمين) [43].

الثاني: أداة القســـم :

للقسم أدوات عدة منها ما هو حروف، ومنها ما هو أفعال، فأما الحروف،فهي: الباء ، والواو، والتاء ، واللام . قال سيبويه : (وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثمّ الباء، يدخلان على كل محلوف به . ثمّ التاء ، ولا تدخل إلاّ في واحد)[44].

فأما اللام فلم ترد في القرآن الكريم ، وإنما وردت في كلام العرب، وأريد بها معنى التعجب، كقول أمية بن أبي عائذ:[45]

لله يبقى على الأيام ذو حيدٍ بمشمخرّ به الظيّان والآسُ

وأما الثلاثة الأولى (الباء ، والواو ، والتاء) فهي الواردة في القرآن الكريم .

أولاً: الباء، فإنها من أصل حروف القسم ، قال ابن هشام في المغني ذاكراً معانيها: (الثاني عشر: القسم ، وهو ـ أي حرف الباء ـ أصل أحرفه)[46]. ومما جعل الباء أصل حروف القسم هو:[47]

1. جواز إثبات فعل القسم وفاعله معها ، كما في قوله تعالى (وأقسموا بالله لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم)[48]، أو حذفهما ، كما في قوله تعالى: (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم)[49].

2دخولها على الظاهر والمضمر، ولا يدخل من حروف القسم غيرها على المضمر، فأما دخولها على الظاهر، فقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم ...)[50]. وأما دخولها على المضمر فلا شاهد له في القرآن الكريم، وإنما ورد في قول الشاعر:[51]

ألا نادت أمامةُ باحتمالي لتحزنني فلا بك ما أبالي

3. تستعمل في القسم الاستعطافي، كقول عبد الله بن قيس الرقيات:[52]

رقّي بعمركم لا تهجرينا ومنينا المُنى ثم امطلينا

فاستعمل الباء في الاستعطاف في (بعمركم لا تهجرينا) .

ثانياً: الواو، وهي أكثر حروف القسم استعمالاً من غيرها، قال سيبويه: (وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر ، وأكثرها الواو ، ثم الباء ، يدخلان على كل محلوف)[53]. ويفهم من كلام سيبويه أنهما يدخلان على لفظ الجلالة وغيره من الأسماء الظاهرة؛ لأن الواو لا تدخل على المضمر كما هو معلوم لدى النحاة، وأنه لا يجوز ذكر فعل القسم معها.

ثالثاً: التاء، وتختص بالدخول على لفظ الجلالة فقط؛ وذلك لكثرة الحلف به، ولا يجوز ذكر فعل القسم معها .

وأما الأسماء ، فهي : عَمْر ، نحو قوله تعالى : (لعمْركَ إنهم لفي سكرتهم يعمهون)[54]، وأيمن ، ويمين ، وأمثلتها معروفة وكثيرة .

وأما الأفعال التي استعملت أدوات للقسم، فهي، أحلفُ، وحَلَف، وأقسمُ، وقسمَ .

الثالث: المُقسَم به :

قال ابن عصفور: (والمقسم به كل اسم لله أو لما يعظّم من مخلوقاته)[55]. وذكر ابن القيم أنّ الله سبحانه (يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته ، وآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته)[56].

والمقسم به من آيات الله تعالى، إما أن يكون شيئاً علوياً كالشمس، والقمر، والنجوم، والإنسان يجد في هذه الآيات من العظمة والجلال والقدرة الإلهية ما يدفعه إلى الخشوع والسجود والإيمان ببارئها تعالى، قائلاً: (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[57].

أو أن يكون شيئاً أرضياً مما يكون داخلاً في حياة الإنسان من خلال التعايش معه أو العيش به لما فيه من فوائد جمّة، كالتين، والزيتون، والبحر المسجور، والأرض .

أوأن يكون المقسم به شيئا خاصا بالإنسان، كالنفس البشرية، والنفس اللوامة، كقوله تعالى: (ونفس وما سواه فألهمها فجورها وتقواها)[58]، وقوله تعالى: (ولا أقسم بالنفس اللوامة)[59]. وإن القسم بهذه الأشياء يدفع المختصين من المفكرين وعلماء النفس والاجتماع إلى البحث فيها، كونها مجالات رحبة للتفكير والتأمل والبحث الطويل[60].

الرابع : المقسم عليه أو ما يسمى بجواب القسم :

قال ابن عصفور معرفا جملة جواب القسم ، هي (كل جملة حُلِفَ عليها بإيجاب أو نفي، نحو: ((والله ما قام زيد))، و ((والله ليقومن زيد))[61]. وترتبط جملة الجواب بجملة القسم ارتباط الشرط بالجزاء .

والقسم عادة يراد به توكيد المقسم عليه وتحقيقه، فلا بد أن يكون بما يحسن فيه ذلك،كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها ، وذلك يحتم أن يكون المقسم عليه ـ غالبا مذكورا في الكلام، وقد يحذف جواب (لو)، نحو قوله تعالى: (كلا لو تعلم ونعلم اليقين)[62]، وحذف مثل هذا من أحسن الأساليب[63]؛ لأنه يدل على التفخيم والتعظيم، فجواب (لو) محذوف، تقديره: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر واليقين لفعلتم ما لا يوصف من الخير .

وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان في المذكور دلالة عليه، كقوله تعالى: (لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة)[64]، فجواب القسم ـ أي المقسم عليه ـ محذوف دل عليه قوله تعالى بعده: (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ....)[65]، والتقدير: لتبعثُنّ و لتحاسبُنّ[66]. ومن هذا نرى أن حذف المقسم عليه أوجز وأبلغ .

والقسم في القرآن الكريم نوعان :

الأول:قسم على طريق الحكاية ، وذلك في أثناء القصص التي قصها القرآن الكريم، كقوله تعالى حكاية لقول أخوة يوسف لأبيهم: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)[67]، أو كقوله جلت علاه ، مخبراً عما كان يقوله المكذبون للرسول (ﷺ) ومبالغتهم في ذلك حتى أنهم يقسمون على أنهم لا يكذّبون الرسل إذا تبين لهم كونهم رسلا: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم)[78] .

الثاني: قسم أقسم الله تعالى به، وهو نوعان:

أ ـ القسم الصريح: (وهو ما كان فيه القسم صريحا أو ظاهرا، ويستدل عليه بحرف القسم، نحو قوله: ((والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف))[69]، أو يستدل عليه بالحرف والفعل معا ... أو يستدل عليه بلفظ من ألفاظ القسم ، اسما كان أم مصدرا)[70].

ب . القسم المضمر (وهو ما لم يذكر معه القسم صريحا أو ظاهرا)[71]، أي هو القسم المحذوف الذي (تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم، كقوله تعالى: ((لتبلوُنّ في أموالكم وأنفسكم ...))[72]، أي: والله لتبلون)[73]، أوإذا كان المعنى والسياق يدلان عليه، نحو قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)[74]،والتقدير : والله ما من كافر إلاّ وارد النار، بدلالة المعنى والسياق ، لأن هذه الآية سبقتها آيات مؤكدات بالقسم الملفوظ ، وهو قوله تعالى: (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا . ثم لننزعن من كل شيعة أيّهم أشد على الرحمن عتيا . ثم لنحن أعلم بالذي هو أولى بها صليّا)[75]، فالقسم الملفوظ دل على القسم الملحوظ، أي المحذوف[76] .

بعد هذا المهاد النظري نشرع الآن بالجانب التطبيقي .

إذا تدبرنا مجيء القسم في السياق القرآني نلحظ وجود علاقة تربط المقسم به بالمقسم عليه، وهذا من أسرار الإعجاز البياني الذي اشتمل عليه النظم القرآني، وينبئ عن سر من أسرار القسم الوارد في التنزيل .

وأول ما نبدأ به في التطبيق القسم المفرد من حيث مكانة وقداسة المقسم به ثم يتلوه القسم المتعدد .

أولاً: القسم المفرد:

1ـ **القسم بلفظ الجلالة (الله):**

- قال تعالى : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لَتُسألُنّ عما كنتم تفترون)[77].

سياق الآيات يتحدث عن الكافرين الذين اتخذوا مع الله تعالى شريكا حتى انه تعالى نهاهم عن ذلك قائلا: (لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو اله واحد فإياي فارهبون)[78]، وبما أنه تعالى وحده المستحق للعبادة دون ما سواه، فإن المشركين قد ارتكبوا إثما في

جعلهم الأصنام شركاء لله في العبادة، هذا أولا . وثانيا أنهم جعلوا لهذه الأصنام نصيبا مما أفاض الله عليهم من فيض فضله من الأرزاق والنعم الكثيرة، فما أقدم عليه هؤلاء المشركون أمر مُستغرَب يُتعجب منه ، ولذلك أقسم سبحانه بلفظ جلالته بأنه سيسألهم عما كانوا يفترون على الله كذبا بأن له شريكا يقدمون له نصيبا من هذه الأرزاق. فسياق النص يُظهر العلاقة التي بين المقسم به لفظ الجلالة (الله)، والمقسم عليه، وهو سؤال هؤلاء المشركين عما ارتكبوه من ذنب عظيم، وأن قسمه تعالى قد جاء بالتاء ليدل بها على أن ما قاموا به أمر عجيب ومُستغرَب منه إذأن (القسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغربا ، فالإتيان في القسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يُسألون سؤالا عجيبا بمقدار غرابة الجرم)[79] الذي ارتكبوه وهو افتراء عظيم .

2.**القسم بلفظ (الرب):**

أقسم سبحانه بلفظة (رب) في مواضع عدة من القرآن الكريم وبصور مختلفة، فأقسم بها مضافة إلى الرسول (ﷺ) في حالتي الخطاب والتكلم. فمن صور الخطاب:

- قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[80] .

سياق الآيات يتحدث عن نفي الإيمان عن الذين نطقوا بالشهادتين وانتموا إلى الإسلام، ولم يحتكموا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ولم يرضوا بقضائه فيما شجر بينهم ، فالمقسم به ربك يا محمد، وجواب القسم هو نفي اكتمال الإيمان عن هؤلاء إلا إذا أقروا بالانصياع التام والتسليم القلبي لما يحكم به النبي المصطفى ، ثم بعد ذلك أنهم لا يجدوا في أنفسهم حرجا في قبول ذلك القضاء الذي قضيت به يا محمد ويسلموا تسليما .

فناسب ذلك أن يقسم تعالى بربوبيته مضافةإلى رسوله الكريم، لأن من معاني الرب المصلح للشيء، ومن مصاديق ذلك الإصلاح تشريع الله سبحانه الأحكام والقوانين التي تصلح حال الناس، ومنها ما جاء به النبي الأكرم من أحكام يحتكم إليها الناس . فسياق الآية يظهر العلاقة بين المقسم به (رب) مضافا إلى الرسول،

وبين المقسم عليه نفي الإيمان عن العباد ما لم يحتكموا لقضاء الرسول وما بين يديه من أحكام أنزلها إليه ربه الكريم .

ومن صور القسم بالرب مضافا إلى النبي الأكرم بصيغة التكلم :

- قوله تعالى : (ويستنبؤنك أحق هو قل أي وربي إنه لحقّ وما أنتم بمعجزين)[81].

سياق الآيات يعرض لنا تكذيب المشركين بوعد الله تعالى لهم بعذاب الخلد، حينما قال لهم: (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون)[82]، فهم (مرة يتظاهرون باستبطاء الوعد استخفافا به، ومرة يقبلون على الرسول في صورة المستفهم الطالب فيسألونه: أهذا العذاب الخالد ، أي عذاب الآخرة، حقّ)[83].

فيأمر سبحانه نبيه الكريم بأن يجيبهم مؤكدا، قائلا له: (قل أي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين) ، إي (حرف جواب لتحقيق ما تضمنه سؤال سائل، فهو مرادف لـ((نعم)) ، ولكن من خصائص هذا الحرف أنه لا يقع إلا وبعده قسم)[84].

المقسم به لفظ (الرب) مضافا لـ (ياء المتكلم) الذي هو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، والمقسم عليه (انه الحق) ، جاء مؤكدا بالجملة الاسمية، وبالقسم، و((إنّ)) المشبهة، ولام الابتداء، ثم أردف جواب القسم بقوله (وما أنتم بمعجزين)؛ ليتضمن (جوابا عن استفهامهم باعتبار ما أضمروه من التكذيب ، أي هو واقع وأنتم مصابون به غير منفلتين منه)[85] .

فالمقسم به (الرب) منسوبا لضمير المتكلم (الرسول) ، ناسب المقسم عليه (إنه الحق)؛ لأن المسؤول هو الرسول والمسؤول عنه هو وعد عذاب الآخرة.

وبهذا تتضح جليا العلاقة السياقية بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة.

ومن قسمه تعالى بلفظة الرب قوله سبحانه: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون . على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين)[86] .

المقسم به الله بعنوان ربوبيته للمشارق والمغارب ، أي ربوبيته العالم كله لأن العالم ينحصر في جهات شروق الشمس وغروبها ، وإن إيثار المشارق والمغارب

بالقسم بربها فيه مراعاة لمناسبة طلوع الشمس بعد غروبها لتمثيل الإحياء بعد الموت[87]. وفي قوله (فلا أقسم، فيه تأكيد القسم بإسناده إلى الله تعالى نفسه)[88].
والمقسم عليه (إنا لقادرون . على أن نبدل خيرا منهم ...) ، فيه (إشارة إلى العظمة المناسبة لذكر القدرة)[89].

وسياق الآيات يبين العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه ، تلك العلاقة التي تحملنا على أن نفهم أن (في ذكر ربوبيته للمشارق والمغارب إشارة إلى تعليل القدرة، فإن الذي ينتهي إليه تدبير الحوادث في تكوينها لا يعجزه شيء منها ، ولا يمنعه شيء من خلقه من أن يبدله خيرا منه وإلا شاركه المانع في أمور التدبير، والله سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته)[90]، فأقسم سبحانه برب (المشارق والمغارب بلفظ الجمع ، إذ هو أدل على المقسم عليه، سواء أريد مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب، فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين ، وينشئهم في ما لا يعلمون، فيأتي بهم في نشأة أخرى، كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع ، ويذهب بها في مغرب)[91].

3. **القسم بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم):**

أقسم تعالى بالنبي المصطفى مرتين في القرآن الكريم، مرة بعمره وحياته الشريفة، وأخرى بوصفه شاهدا. وقد عرض القرآن الكريم الكثير من القصص، ومنها قصة النبي لوط (عليه السلام)، فقال تعالى في معرض القصة: (هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين . لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون . فأخذتهم الصيحة مشرقين) [92].
سياق الآيات يتحدث عن الملائكة عندما حلوا ضيوفا عند لوط (عليه السلام)، ففرح الفجار من قوم لوط بورودهم فحاول لوط ردهم عن ذلك قائلا لهم: هؤلاء بناتي فتزوجوهنّ إن كنتم فاعلين ، ولكن قومه أعرضوا عن اقتراحه وأظهروا إصرارهم على فعل الرذيلة .

فالله سبحانه يخاطب النبي محمدا في معرض القصة قاسما بحياته وبقائه إكراما له على (عدم جدوى موعظة فيمن يكون في سكرة هواه)[93]، والمقسم به (العمر بفتح العين وسكون اللام ـأصله لغة في العمر ـ بضم العين ـ فخص المفتوح بصيغة القسم

لخفته بالفتح لأن القسم كثير الدوران في الكلام . فهو قسم بحياة المخاطب به)[94] ، وهو الرسول الكريم، على المقسم عليه وهو (إنهم لفي سكرتهم يعمهون)، ومعناه (أقسم بحياتك وبقائك يا محمد إنهم لفي سكرتهم وهي غفلتهم بانغمارهم في الفحشاء والمنكر يترددون متحيرين)[95] .

ولأن النبي محمدا أكرم الخلق عند الله تعالى ، وهو المرسل لإنقاذ الناس من ضلالهم وسكرتهم، وبما أن قوم لوط كانوا يعمهون في سكرتهم ولا يهتدون؛ فناسب المقسم به المقسم عليه بأن أقسم سبحانه بعمر المصطفى الذي أرسله تعالى هاديا للناس إلى الصراط المستقيم، على أن قوم لوط لا هداية لهم وهم متحيرون مترددون بغفلتهم .

4. القسم بالقرآن الكريم:

أقسم سبحانه بالقرآن موصوفاً بصفات عدة في مواضع مختلفة من كتابه العزيز منها:

- قوله تعالى: (والقرآن الحكيم . إنّكَ لمن المرسلين)[96] .

المقسم به (القرآن) وقد وصفه تعالى بـ (الحكيم)؛ لأنه (مستقرٌ فيه الحكمة وهي حقائق المعارف وما يتفرع عليها من الشرائع والعبر والمواعظ)[97].

والمقسم عليه (إنّك لمن المرسلين)، أي أنه تعالى أقسم على صدق نبوة رسوله محمد ، وسياق الآيات قد أكد أن المقسم به كان دليلاً على المقسم عليه ومؤكداً له، لأن القرآن خير دليل على نبوة المصطفى محمد ؛ لما تضمن من الحكم والحجج التي عجزت عقول البشر عن مضاهاتها، وسلّمت في نهاية الأمر بواقعيتها لأنها معجزة الرسول التي أثبتت أنه رسول من جملة الرسل التي أرسلها تعالى لعباده ليهدونهم لطريق الخير والصلاح .

- وقوله تعالى: (ق . والقرآن المجيد)[98] .

سياق الآيات الثلاث الأولى من سورة (ق) يتحدث عن النبي المصطفى كونه مرسلاً من الله تعالى، ومنذراً لهم، وصادقاً فيما جاء به، وتؤكد الآيات ـ أن البعث

والنشور حقّ ، على الرغم من أن الكافرين يعدون ذلك شيئاً بعيد الحصول وغير ممكن .

فأقسم سبحانه بالقرآن موصوفاً بـ (المجيد)، أي الكريم ، الشريف ، والمجد: السعة في الكرم والجلال، فوصفه تعالى بذلك لكثرة ما يتضمنه من المكارم الدنيوية والأخروية[99] . فالقسم بالقرآن المجيد (كناية عن التنويه بشأنه لأن القسم لا يكون إلا بعظيم عند المُقسِم فكان التعظيم من لوازم القسم)[100] .

المقسم عليه محذوف تضمنه المقسم به ، فالعلاقة السياقية بينهما بيّنت اتحاد (المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن ، فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه، وأنه حقّ من عنده، ولذلك حذف الجواب ولم يصرح، لما في القسم من الدلالة عليه، أو لأن المقصود نفس المقسم به)[101] .

وأقسم تعالى بالكتاب في موضعين ، هما :

- قوله تعالى : (حم . والكتاب المبين . إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)[102].
- وقوله تعالى : (حم . والكتاب المبين . إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منزلين)[103]

في سورتي الزخرف والدخان المقسم به القرآن بكون وصفه مبيناً، والمقسم عليه في سورة الزخرف جعله تعالى القرآن (عربياً واضح الدلالة فهو حقيق بأن يصدقوا به لو كانوا غير مكابرين ولكنهم بمكابرتهم كانوا كمن لا يعقلون)[104].

وفي سورة الدخان (نوّه بشأن القرآن بطريقة الكناية عنه بذكر فضل الوقت الذي ابتدئ إنزاله فيه)[105].

والآيات بسياقها أوضحت أن المقسم به هو المقسم عليه (وهذا ضربٌ عزيزٌ بديع لأنه يومئ إلى أن المقسَم على شأنه بلغ غاية الشرف فإذا أراد المُقسِم أن يقسم على ثبوت شرف له لم يجد ما هو أولى بالقسم به للتناسب بين المقسم به والمقسم عليه)[106]، والإنذار والتعقل يحتمان (أن يكون الكتاب واضحاً مفهوماً لا مجهولاً ومعقداً)[107] .

5ـالقسم بالنجم :

- قال تعالى: (والنجم إذا هوى . ما ضلّ صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى .إنْ هو إلاّ وحي يوحى)[108].

سياق الآيات يتضمن ردّاً على المشركين الطاعنين بنبوة محمد (صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) ومعجزته القرآن ، فناسب هذا أن يقسم تعالى بالنجم ، ويراد به مطلق النجم ـ أي الكواكب ـوهو من عظيم مخلوقاته ، وقيّد سبحانه النجم بهويّه، أي في حال ميله بادياً للنظر لامعاً في السماء ليلاً، فالنجم في هذا الميل يكون الساري مهتدياً به .

المقسم عليه (ما ضلّ صاحبكم وما هوى).

المشركون اتهموا الرسول محمداً بأنه مجنون، والجنون من الضلالة، وفي هذه الحال يكون المجنون غير مهتدٍ إلى وسائل الصواب والكذب، واتهموه بأنه ساحر، والسحر ضلال وغواية، والغواية: فساد العقل وتعلقه بالباطل. وآثر سبحانه أن يعبر عن رسوله الكريم بوصف (صاحبكم)؛ لأن في هذا الوصف تعريض لهم بأنهم أهل بهتان وكذب إذ نسبوا للرسول ما ليس فيه ولا متصف به مع علمهم ودرايتهم وشدّة اطلاعهم على أحواله وشؤونه، إذ هو بينهم في بلد لا يصعب على أهله إحاطة علمهم بحال واحد معين مقصود من بينهم[109] .

ومن هذا نرى أن مناسبة المقسم به للمقسم عليه هو (أن الكلام مسوق لإثبات أن القرآن وحي الله منزل من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويّه مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارة معنوية نازلة من محل رفعة معنوية)[110]. ثم عطف على جواب القسم (ما ينطق عن الهوى) ، وفي هذا وصف لكمال ذاته .

6.القسم بمواقع النجوم :

- قال تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون)[111].

في هذه السورة المباركة نجد صيغة قسم أخرى هي (لا أقسم)، وقد تعددت آراء المفسرين فيها ، ومن هذه الآراء أن الله تعالى (أدخل حرف النفي على فعل أقسم لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يُهِمُّ أن

يقسمَ به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به، فيقول: لا أقسم به، أي ولا أقسم بأعزِّ منه عندي ، وذلك كناية عن تأكيد القسم)[112]، أي أنها يؤتى بها لإفادة التوكيد، وقد ذهبت د. بنت الشاطئ إلى توضيح هذا الرأي قائلة: (أنه سبحانه ليس في حاجة إلى القسم وأن نفي الحاجة إلى القسم تأكيد له)[113]، وتستدل على ترجيح هذا الرأي معللة أنه: (من مألوف استعمالنا أن نقول: لا أوصيك بفلان، تأكيدا للوصية. كما نقول: بغير يمين، تأكيداً للثقة التي لا تحتاج معها إلى يمين)[114] .

المقسم به (مواقع النجوم)، أي مطالعها وغروبها، وليس النجوم لذاتها، وذلك للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها .

أما المقسم عليه فهو قوله: (إنه لقرآن كريم)، وقد وقعت جملة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، ونلحظ أيضا أنه قد (وقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله تعالى ((لو تعلمون))فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض، ألطف شيء وأحسنه موقفا،وأحسن ما يقع هذا الاعتراض إذا تضمن تأكيدا أو تنبيهاً)[115]، وهذا ما أدته جملة الاعتراض المشار إليها أعلاه .

ونلحظ من سياق الآيات أن هناك علاقات تربط بين المقسم به (مواقع النجوم) والمقسم عليه (انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون). ومصاديق هذه العلاقات الرابطة بينهما هي :

أولا: أن النجوم يُهتدى بها، والقرآن الكريم أنزله الله سبحانه ليهدي به الناس، فـ (النجوم جعلها الله يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والغي .فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية ، فجمع بين الهدايتين)[116].

ثانيا: أن النجوم فيها رجم للشياطين، وآيات القرآن فيها رجوم لشياطين الأنس والجن[117].

ثالثا : أن النجوم في غروبها ومساقطها، تشابه آيات القرآن في نزولها، فالنجوم هي آيات الله (المشهودة المعاينة، والقرآن آياته المتلوة السمعية ، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول)[118].

رابعا: أن (النجوم التي ترمي الشياطين آيات من آيات الله، يحفظ بها دينه، ووحيه، وآياته المنزلة على رسوله، بها ظهر دينه، وشرعه، وأسماؤه، وصفاته، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهاوية)[119].

7.القسم بالعصر :

- قال تعالى: (والعصر . إن الإنسان لفي خُسر. إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)[120].

المقسم به (العصر)، وقد اختُلِفَ في المراد به ، فقيل: (هو اسم للعشي والليل والنهار)[121]، وقيل هو (الطرف الأخير من النهار لما فيه من الدلالة على التدبير الربوبي بإدبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس)[122].

ويؤيد هذا الرأي أنه تعالى أقسم به مثلما أقسم بالضحى، وبالليل، وبالصبح[123]، وقيل المراد به عصر النبي محمد أو عصر الإسلام، أو صلاة العصر[124] .

وقد ذهبت د . بنت الشاطئ إلى أبعد من ذلك حينما رأت أن العصر يقصد به (ما يعتصر من خلاصة الإنسان بالضغط والابتلاء)[125]، معتمدة في تفسيرها هذا المعنى اللغوي للفظ العصر المتمثل في اعتصار الخمر أو العنب أو غيره .

وأوْلى هذه الآراء رأيان هما: العصر: بمعنى الدهر والزمان؛ لأنه يناسب خسران الإنسان في حياته وعمره ، والعصر: بمعنى وقت العصر؛ لأنه دخول في نهاية الأعمال اليومية، وبه يبدأ كل شيء بالانقضاء كالشمس في ميلها للغروب والإنسان في ميله للراحة بعد العناء والتعب اليومي .

والمقسم عليه (إن الإنسان لفي خُسْر)، والمراد هنا جنس الإنسان، وهو في حالة خسران لأعلى الأشياء عنده وهو عمره الذي ينقضي بالتدريج .

ومن هذا نلحظ العلاقة السياقية التي تربط المقسم به بالمقسم عليه في السورة الكريمة ، فقد أقسم سبحانه (بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان وحملها على

عاقبة تلك الأفعال وجزائها، ونبّه بالمبدأ وهو خلق الزمان، والفاعلين وأفعالهم على المعاد، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين، وأفعالهم ، وجَعْلها قسمين خيراً وشراً تأبى أن يسوّى بينهم، وأن لا يُجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلاّ من رَحِمَه الله)[126]، بعد أن توافرت فيه شروط أربعة: إيمان لاختبار القلب، وعمل صالح لاختبار الجسد، وتواصٍ بالحق اختبار للعقل، وصبرٌ اختبار للنَفْس. فهؤلاء هم المستثنَوْن بقوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر)، وهم بعملهم هذا، وصفاتهم هذه، قد اشتروا حياة سعيدة حافلة بمرضاة الله.

8. القسم بالسماء :

- قال تعالى: (والسماء ذات الحُبُك . إنكم لفي قول مختلف. يؤفك عنه مَن أُفك)[127].

الحُبُك: (قال أبو عبيدة، والمبرد، الحُبُك: الطريق، واحدها حباك، وحباك الحمام: طرائق على جناحيه، وحبك الماء طريقه)[128].

المقسم به السماء موصوفة بذات الطرائق المختلفة، وفي هذا الوصف (إيماء إلى نوع جواب القسم)[129]، فكان المقسم عليه (إنكم لفي قول مختلف) ، أي اختلاف الناس وتشتت طرائقهم (في القرآن وفي النبي ((صلّى الله عليه وسلّم)) ، هو خرص كله ، فإنهم لمّا كذّبوا بالحق اختلفت مذاهبهم ، وآراؤهم وطرائقهم ، وأقوالهم ، فإن الحقّ شيء واحد وطريق مستقيم فمن خالفه اختلفت به الطرائق)[130] .

ومن سياق الآيات نلحظ العلاقة الرابطة بين المقسم به السماء موصوفة بذات الطرائق المختلفة، وبين المقسم عليه اختلاف طرائقهم ومذاهبهم وآرائهم بكتاب الله وبنبيه المصطفى، فهم مرة يقولون في الكتاب سحر ومحمد ساحر، وأخرى زجر ومحمد مجنون، وثالثة شعر ومحمد شاعر...، ويقرر سبحانه بعد ذلك: يُصرف عن هذا الكتاب مَن صُرف ويُصرف عن التصديق والإيمان بالنبي محمد مَن صُرف.

ثانياً : القَسَم المتعدد:

هو القَسَم الذي أقسم فيه الله سبحانه بأمور عدة جمعها في آية واحدة أو أكثر، وجعل لها جميعها مقسماً عليه واحداً ، ومنه قوله تعالى في:

- سورة الصافات :
- قال تعالى : (والصافات صفّاً . فالزاجرات زجراً . فالتاليات ذكراً . إنّ إلهكم لواحد)[131].

كان الناس قبل وأثناء نزول القرآن يؤمنون بأن الخالق واحد فهم موحِدون في الخالقية ولكنهم في الوقت ذاته مشركون في الإلوهية والتدبير ، إذ أنهم كانوا ينسبون الأمور وتدبيرها للآلهة التي لا تضر ولا تنفع ، وبما أن غرض السورة في مفتتحها إثبات الوحدانية لله سبحانه ، وأنه هو المدبر الذي لا شريك له ، اقتضى سياق النص أن يُقسِم سبحانه بمُقسَم به مختلف الأصناف وهو طوائف من الملائكة التي عبّر عنها (بلفظ الإناث : الصافات والزاجرات والتاليات ؛ لأن موصوفها الجماعة والتأنيث لفظي)[132]. فالله سبحانه لم يقسم بالملائكة لذاتها وإنما أقسم بصفات من صفاتها ، فهي صافّات بين يديه للعبودية، وزاجرات للسحاب ولغيره بأمر الله تعالى وتاليات تتلو كلامه سبحانه[133] لرسله (عليهم السلام) . والقسم بهذه الصفات معطوفة (بالفاء يقتضي أنّ تلك الصفات ثابتة لموصوف واحد باعتبار جهة ترجع إليها وحدتُهُ ، وهذا الموصوف هو هذه الطوائف من الملائكة)[134] التي تأتمر بأمر الله سبحانه وهو الإله والمدبر .

المقسم عليه (إنّ إلهكم لواحد) ، وهو جواب القسم ، وبما أن القسم يُؤتى به للتأكيد فكان التأكيد على صفة (واحد)؛ لأن المشركين كانوا يعلمون أن لهم إلهاً واحداً ولكنهم أشركوا به وجعلوا لهم آلهة عدة . فأبطل تعالى بالمقسم عليه اعتقادهم ، وزاد على ذلك التأكيد بأن أكد ربوبيته وقرر توحيد هذه الربوبية فأردف سبحانه بعد (إنّ إلهكم لواحد)[135]، فقال : (رَبّ السماوات والأرض وما بينهما ورَبّ المشارق)[135] ، وهذا (من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ، ولو كان معه إلهاً آخر لكان الإله مشاركاً له في ربوبيته ، كما شاركه في إلهيته)[136].

سورة الطور

- قال تعالى: (والطور. وكتاب مسطور. في رقٍّ منشور. والبيت المعمور والسقف المرفوع. والبحر المسجور. إنّ عذاب ربّك لواقع. ما له من دافع)[137].

المقسم به في هذه السورة أمور خمسة هي:

ـ الطور وهو الجبل الذي كلّم الله تعالى به موسى (عليه السلام) ، وأقسم به توطئة للقسم بالتوراة).

ـ كتاب مسطور في رق منشور هي التوراة التي كتبها موسى بعد نزول الألواح، وليس المراد به القرآن؛ لأن القرآن لم يكن يومئذ مكتوباً سطوراً ولا هو مكتوباً في رقّ.

ـ البيت المعمور هو الكعبة ، فبعد أن أقسم بكتاب التوراة عقّب ذلك بموطن نزول القرآن ، وهو مكة التي لا تخلو من طائف بها [138] .

ـ السقف المرفوع هو السماء ، وأقسم تعالى بها لأنها مصدر نزول الوحي كله التوراة والقرآن .

ـالبحر المسجور هو البحر المحبوس بقدرة الله ، المملوء بالماء ، الذي يذهب ماؤه يوم القيامة ويصير ناراً[139].

وهذه الأشياء التي أقسم تعالى بها هي (مظاهر آياته ، وقدرته ، وحكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته)[140].

المقسم عليه (إنَّ عذاب ربّك لواقع . ما له من دافع) ، هو عذاب يوم القيامة الذي كذّب به الكفار فإنه واقع لا شكّ ، وأنه ليس له دافع ؛ لأنه من قضاء الله المحتوم الذي لا مفرّ للكافر منه يوم القيامة .

فناسب البيان القرآني وسياقه في هذه الآيات أن يقسم تعالى بالطور والتوراة وموطن نزول القرآن وغيرها ، على تحقق وقوع عذاب يوم القيامة ؛ لأن التوراة والقرآن قد ورد فيهما إخبار الناس بوقوع يوم القيامة وأنه لا مناص من حتمية وقوعه.

سورة الحاقة .

- قال تعالى: (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنّه لقولُ رسولٍ كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون . تنزيلٌ من ربّ العالمين)(141) .

الفاء السابقة لفعل القسم (لتفريع إثبات أن القرآن منزّل من عند الله ونفي ما نسبه المشركون إليه)[142] . و(لا) النافية مرّ أثناء البحث عرض الآراء التي قيلت فيها .

المقسم به (ما تبصرون . وما لا تبصرون)، أي (إقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة ، لأنها لا تخرج من قِسْمَين مبصر وغير مبصر . وقيل : الدنيا والآخرة ، والأجسام والأرواح ، والإنس والجن ، والخالق والخلق ، والنعم الظاهرة والباطنة)[143]. أما صاحب الميزان فاستبعد أن يجمع تعالى بين الخالق والخلق في صفّ واحد، قائلاً: (فإن من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق والخلق في صفٍّ واحد ويعظمه تعالى وما صنع تعظيماً مشتركاً في عَرَض واحد)[144].

المقسم عليه (إنه لقولُ رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون . تنزيل من ربّ العالمين). أي هو القرآن وأنه قول الرسول الكريم محمد المنزل إليه من الله تعالى عن طريق جبريل الأمين ، وما دام هذا القرآن كذلك فهو ليس بقول شاعر ولا كاهن ، وإنما هو (تنزيل من ربّ العالمين) .

ومن هذا نرى أن العلاقة السياقية بين المقسم به والمقسم عليه واضحة للعيان بادية للمتمعن في القرآن ، ف (في اختيار ما يبصرون وما لا يبصرون للإقسام به على حقيّة القرآن ما لا يخفى من المناسبة فإن النظام الواحد المتشابك أجزاؤه الجاري في مجموع العالم يقضي بتوحّده تعالى ومصير الكل إليه وما يترتب عليه من بعث الرسل وإنزال الكتب ، والقرآن خير كتاب سماوي يهدي إلى الحق في جميع ذلك والى طريق مستقيم)[145] .

سورة المدّثر .

- قال تعالى: (كلاّ والقمر . والليل إذْ أدبر . والصبح إذا أسفر . إنها لإحدى الكُبَر . نذيراً للبشر. لمَن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)[146] .

جاءت (كلاّ) قبل القسم حرف ردع وإبطال[147] لما تقدم من كلامهم إذ قالوا (ماذا أراد الله بهذا مثلاً)[148] .

المقسم به (القمر . والليل إذ أدبر . والصبح إذا أسفر), وهي أقسام ثلاثة قسم بعد قسم لزيادة التأكيد ، فأقسم سبحانه بالقمر الذي يظهر ويتجلى في الليل، وبالليل في

حال إدباره، أي اقتراب انقضائه عند الفجر، وبإسفار الصبح، أي ابتداء ظهور الفجر، فهي آيات ثلاث متعاقبة فيها أدلة واضحة على المبدأ والمعاد .

المقسم عليه (إنها لإحدى الكُبَر . نذيراً للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) .

الهاء تعود على (سقر) وصفاتها التي تقدم الكلام عليها في سياق السورة ، وبهذا فإنه سبحانه يقسم (بهذه الأشياء الثلاثة ـ وهي القمر، والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر ـ على المعاد لما في القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه، فإنه يتضمن كمال قدرته وحكمته، وعنايته بخلقه، وإبداء الخلق وإعادته، كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما، وفي إبداء النور وإعادته في القمر)[149]، فكما أن المقسم به من آيات الله ، كذلك المقسم عليه وهي (سقر) المتميزة من بين الكبَر في العظم لا نظير لها أنها من آياته ، وفي هذا نلحظ ما بين المقسم به والمقسم عليه من علاقة سياقية وتناسب.

سورة المرسلات .

- قال تعالى : (والمرسلات عُرفاً . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشراً . فالفارقات فرقاً. فالملقيات ذكراً . عذراً أو نذراً . إنما توعدون لواقع)[150]

اختلف المفسرون في المقسم به ، فمنهم من قال إنها الرياح وهذه صفاتها ، ومنهم من قال إنها الملائكة[151] ، ولكن سياق الآيات يرجح قبول تفسيرها بالملائكة التي من صفاتها أنها تُرسَل متتابعة فتسرع في سيرها مثل الرياح العاصفة.

والآيات متضمنة لقَسَمين : المقسم به الأول هو الجماعات المرسلات من ملائكة الوحي التي ترسل متتابعة ، فتسرع في سيرها كالرياح العاصفة مطيعة لأمره سبحانه، والمقسم به الثاني هو (الناشرات نشراً) ، فقد استأنف القسم الثاني بالواو وجعل سبحانه (الإقسام في هذه السورة نوعين وفصل أحدهما من الآخر ، وجعل العاصفات معطوفاً على المرسلات بفاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد ، ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى به بالواو ، ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء)[152] ، فهذه الصفات الأخيرة المقسم بها وهي (النشر والفرق وإلقاء الذكر مترتبة ، فإن الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام يتحقق بنشر الصحف وإلقاء الذكر، فبالنشر يشرع الفرق بالتحقق ، وبالتلاوة يتم تحققه، فالنشر يترتب عليه مرتبة من وجود الفرق

ويترتب عليهما تمام وجوده بالإلقاء)[153]، وما تأتي به الملائكة ـ التي هذه صفاتها ـ من الذكر سيكون إما عذراً لعباد الله المؤمنين، أو نُذْراً للمكذبين، ونلحظ في الآيات تعدد المقسم به وهو تطويل للقسم لأجل (تشويق السامع لتلقي المقسم عليه)[154].

المقسم عليه قوله: (إنما توعدون لواقع)،فهو تأكيد لوقوع يوم القيامة وما فيه من الثواب والعقاب وهو أمر قطعي .

أما مناسبة المقسم به للمقسم عليه في هذه السورة المباركة فقد أبانها الطباطبائي قائلاً: (من لطيف صنعة البيان في هذه الآيات الست أنها مع ما تتضمن الإقسام لتأكيد الخبر الذي في الجواب تتضمن الحجة على مضمون الجواب وهو وقوع الجزاء الموعود، فإن التدبير الربوبي الذي يشير إليه القسم، أعني إرسال المرسلات العاصفات ونشرها الصحف وفرقها وإلقاءها الذكر للنبي تدبير لا يتم إلا مع وجود التكليف الإلهي والتكليف لا يتم إلا مع تحتم وجود يوم معد للجزاء يُجازى فيه العاصي والمطيع من المكلفين . فالذي أقسم تعالى به من التدبير لتأكيد وقوع الجزاء الموعود هو بعينه حجة على وقوعه كأنه قيل: أقسم بهذه الحجة أن مدلولها واقع)[155].

سورة النازعات.

- قال تعالى: (والنازعات غرقاً . والناشطات نشطاً . والسابحات سبحاً . فالسابقات سبقاً. فالمدبرات أمراً . يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة .قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة)[156].

ذهب المفسرون مذاهب شتى في تفسير موصوفات هذه الصفات المقسم بها ودارت أقوالهم ما بين الرياح والنجوم والملائكة التي تنزع أرواح الكفار أو أرواح المؤمنين وغيرها من التفسيرات[157]. لكن الرأي الراجح أنها الملائكة، والسياق يدل عليه، فهو سبحانه قد أقسم بصفات الملائكة التي منها أنها نازعات، وناشطات، وسابحات، وجاءت هذه الصفات الثلاث الأولى بالواو، ثم أنها سابقات، فمدبرات، وجاءتا بالفاء؛ السبق والتدبير مسبب عن المذكور قبله، فإنها نزعت وسبقت ونشطت وسبحت فسبقت إلى ما أُمِرت به فدبرته[158]. أي أنه تعالى أقسم بالملائكة وهم (على انتزاعهم وخروجهم من موقف الخطاب إلى ما أُمروا به، فنزعهم غرقاً شروعهم في

النزول نحو المطلوب بشدة وجد، ونشطهم خروجهم من موقفهم نحوه، كما أن سبحهم إسراعهم إليه بعد الخروج ويتعقب ذلك سبقهم إليه وتدبير الأمر بإذن الله)[159].

المقسم عليه محذوف (للدلالة على فخامته وبلوغه الغاية في الشدة وهو ((لتبعثنّ)).

وذهب ابن القيم إلى أبعد من ذلك، قائلاً: (إنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسماً عليه بعينه. وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظاً ... وهذا ألطف مسلكاً. فإن المقسم به إذا كان دالاً على المقسم عليه مستلزماً استغنى عن ذكره بذكره)[160].

وبهذا نرى المناسبة بين ما هو مقسم به وما هو مقسم عليه، (فآل تعالى إلى أن المقسم عليه المراد تحقيقه هو وقوع البعث بأسلوب أوقع في نفوس السامعين المنكرين من أسلوب التصريح بجواب القسم، إذ دلَّ على المقسم عليه بعض أحواله التي هي من أهواله فكان في جواب القسم إنذار)[161].

سورة الانشقاق .

- قال تعالى: (فلا أقسم بالشفق. والليل وما وسق. والقمر إذا اتسق. لتركبُنّ طبقاً عن طبق. فما لهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون)[162].

أقسم سبحانه بأمور أربعة هي من دلائل آياته، فأقسم بالشفق وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس[163]، أي أقسم بالحمرة التي تكون بعد غروب الشمس وهي آية، ثم عطف عليه قسمه بالليل وما وسق، أي ما ضمّ وحوى وجمع[164] ، وهو آية أخرى، ثم القمر وهو في حدّ ذاته آية، واتساقه أي امتلاؤه نوراً واكتماله بدراً، وهي آية أخرى أيضاً، فهذه أربع آيات من دلائل ربوبيته سبحانه وفيها مراحل وتعاقب، فالحمرة أولاً أي بداية الليل، ثم إطباق الليل، ثم جمعه وضمّه للأشياء بعد تفرقها في النهار، ثم القمر ثم اكتمال نوره وامتلاؤه.

فهذه طبقات ومراحل أقسم بها الباري تعالى على:المقسم عليه وهو (لتركبُنَّ طبقاً عن طبق)، أي: حالاً بعد حال، فالإنسان يعيش حياته الدنيا، ثم ينتقل إلى حياة البرزخ، ثم إلى الآخرة، ثم الحياة الأخروية حيث الحساب والجزاء[165].

وإذا أنعمنا النظر في المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة المباركة وجدنا فيهما قدرة الله تعالى في تغيير العالم وتصريفه من حال إلى حال، وهما أيضا أي المقسم به والمقسم عليه ـ (من أعظم الأدلة على ربوبيته، وتوحيده، وصفات كماله، وصدقه، وصدق رسوله، وعلى المعاد. ولهذا عقّب ذلك بقوله ((فما لهم لا يؤمنون)) إنكاراً على مَن لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها أتم استلزام، وأنكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن المشتمل على ذلك)[166].

سورة الطارق .

أقسم الله سبحانه بالسماء في سورة الطارق مرتين:

- الأولى في قوله تعالى: (والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب. إنْ كلّ نفس لمّا عليها حافظ)[167].
- والثانية في قوله تعالى: (والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنّه لقول فصل. وما هو بالهزل)[168].

في القَسَم الأول أقسم سبحانه بالسماء والطارق، أي النجم الطالع ليلاً الثاقب ضوؤه ظلمة الليل، فشبهه سبحانه بالذي يطرق الناسَ أو يطرق أهله ليلاً، وهو بطروقه يبدد ظلمة الليل، ويبدي ما يخفي هذا الليل وهذا الطارق، والسماء من دلائل عظيم قدرته في مخلوقاته.

والمقسم عليه (إنْ كلّ نفس لمّا عليها حافظ)، أي هو (حال النفس الإنسانية والاعتناء بها، وإقامة الحفظة عليها، وأنها لم تترك سدىً، بل قد أرصد عليها من يحفظ عليها أعمالها ويحصيها)[169] ويكتب تلك الأعمال فتُجازى إن خيراً بخير وإن شراً بِشَر.

والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه هي علاقة مشابهة ، قدرة الله في خلق النجم الثاقب الذي يثقب ظلام الليل الدامس ويبدده ويظهر ما يخفيه هذا الليل (فكذلك عِلْمُ الله ـ جلّ وعلا ـ عظيم يثقب دخائل الأنفس وما تكنه صدورها في أعماقها المظلمة المخفية، فيكتب ذلك عنها ويسجله عليها، فلا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء)[170].

أما في القَسَم الثاني فأقسم سبحانه بـ (السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع)، أي بالسماء موصوفة برجعها بالمطر، أي كون السماء تحمل البخار من البحار والأنهار وترفعه إلى الأعلى وتعيده مطراً مرة أخرى بإذن الله، وأقسم بالأرض موصوفة بصدعها بالنبات، أي أن الأرض بعد سقوط المطر عليها يصدعها النبات أي يشقها ويخرج منها.

والمقسم عليه (إنه لقولٌ فصل. وما هو بالهزل).

ذهب كثير من المفسرين إلى أن الضمير في (إنه) يعود على القرآن، أي أن القرآن يفصل بين الحقّ الباطل[171].

وسياق الآيات لا يوحي بهذا التفسير، إذ أنّ الآيات السابقة للقَسَم الثاني (والسماء ذات الرجع)تتحدث عن قدرة الله سبحانه على إعادة بعث الإنسان من جديد: (إنه على رجعه لقادر. يوم تبلى السرائر)[172].

وعلى هذا فإن المقسم عليه في قوله تعالى: (إنه لقول فصل. وما هو بالهزل) هو البعث والنشور وليس القرآن، أي أن إحياء الموتى وإخراجهم من الأرض هو القول الفصل الذي أقسم عليه سبحانه، ووصفه بالفصل مبالغة، أي الذي يفصل فيه تعالى بين أهل الحق وأهل الباطل على وجه المبالغة، فيكثر من ثواب أصحاب الحق، ويزيد في عقاب أهل الباطل. ثم نفى تعالى أن يكون أمر البعث والمعاد هَزْلاً وإنما هو جَد؛ رداً على إنكارهم له إذ قالوا: (أيعدكم أنكم أإذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجون)[173]، وقوله: (قالوا أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون)[174].

أما المناسبة أو العلاقة الجامعة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات فهي أن القرآن الكريم لجأ(إلى هذا الأسلوب البياني الدقيق وهو القسم بآيات الله التي تتجسد فيها ظواهر مشاكلة للبعث والمعاد، وهي ظواهر تمر بالإنسان حيناً بعد حين ولا يُشَك في أمرها لأنها تحدث وتتجسد أمامه، فكأن القرآن أراد أن يَلفِت أنظارهم بهذا القسم ـ الذي تضمن السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ـ إلى أنه كما أنكم ترون كيف تحمل السماء الماء من بحار الأرض وأنهارها، ثم تعيده وترجعه على شكل أمطار، وكما أنكم ترون كيف أن الأرض تكون قاحلة ميتة فيبعث الله فيها

الحياة من جديد فتتشقق وتتصدع عن النبات ـ رمز حياتها ـ فكذلك أنتم بعد موتكم ستُعاد لكم الحياة وتُبعثون بعد موتكم من جديد)[175].

سورة الفجر.

- قال تعالى: (والفجر. وليالٍ عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر. هل في ذلك قَسَم لذي حِجْر)[176].

المقسم به في هذه السورة أمور خمسة قال المفسرون في تفسيرها ودلالتها أقوال عدة، إلاّ إننا نؤثر قول د. بنت الشاطئ في تفسيرها (التفسير البياني)؛ لأن فيه لفت إلى ملاحظ بيانية هي أقرب مدلولاً في تفسير المقسم به، إذ أنه أقسام ـ جمع قسم ـ بمدركات حسية على أمور معنوية.

فالفجر ـ عندها ـ هو الفجر المعهود عند تبين الخيط الأبيض من سواد الليل، وهذا ـ أي الفجر ـ يحمل دلالة الانبثاق والانبعاث، يكون حسيّاً بشق متعمد، كما يكون تلقائياً كالانفجار، ومعنوياً في الفجور والانبعاث المجازي.

وليالٍ عشر، يكون اللفت بها إلى نزول القرآن فيها هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وبهذا تكون الليالي العشر مرتبطة بما قبلها وما بعدها من الفجر الصادق البازغ، نوراً ينسخ ظلمة الليل إذا يسري.

أما الشفع والوتر فهما ما يحملان من دلالة صريحة، لغةً ونصّاً وسياقاً، على الازدواج والإفراد مع ملحظ فيهما من التقابل والتضاد.

وأما الليل إذا يسر فتعدّه ظاهرة أسلوبية عدل فيها البيان القرآني بالقَسَم عن أصل استعماله الأول للتعظيم، لملحظ بلاغي هو اللفت بالواو إلى واقع حسّيٍّ مُدرَك لا مجال للمهارة فيه، فهو عندها توطئة للإقناع بما هو موضع جدل أو ارتياب، من المعنويات والغيبيات غير المدركة.

ومجمل القول في الأمور الخمسة المقسم بها في سورة الفجر ـ عند د. بنت الشاطئ ـ أنها تراها لافتة لفتاً قوياً إلى صور مدركة من التقابل في الأضواء، ما بين الفجر وسري الليل، وفي العدد، أيّان كان المعدود، من شَفع ووتر. وأنها توطئة بيانية لما يتلو من آيات محكمات فيها تقابل بين الابتلاء بالقوة وبالغنى وبالنعمة أو بالفقر والحرمان، وما يُظنّ معهما من إكرام أو إهانة، في التقابل في المصير مابين عذاب

الطاغين المغرورين، ونعيم النفس المطمئنة[177] ،وهو ما تشير إليه الآيات التي أعقبت آيات الأقسام .

أما قوله تعالى بعد هذه الأقسام: (هل في ذلك قَسَم لذي حِجْر)، معناه (هل في ذلك تحقيق لما أقسم عليه للسامع الموصوف بأنه صاحب حجر)[178]، أي صاحب عقل يتدبر بعقله أن ما أقسم به تعالى قسمٌ كافٍ ومقنع للمقسَم له.

المقسم عليه محذوف يدل عليه سياق الآيات المعقبة لهذه الأقسام، وهو أنه تعالى أتى بهذه الأقسام لأجل وعيد الطاغين والفاسدين والكافرين كما حلّ بقوم عاد وثمود من عذاب وإهلاك، وأن(حذف الجواب والإشارة إليه عن طريق التكنية أوقع وآكد في باب الإنذار والتبشير)[179] .

أما مناسبة المقسم به المتعدد للمقسم عليه المحذوف فهي(أن مَنْ كان ذا لبٍّ، علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه دلائل على قدرته وحكمته، فهو قادر على أن يكون بالمرصاد لأعمال عباده فلا يعزب عنه أحد ولا يفوته شيء من أعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم خصوصاً بالنظر إلى ما أدّب به قوم عاد وثمود مع ما كان لهم من القوة والمنعة)[180].

سورة الشمس.

- قال تعالى: (والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاّها. والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفسٍ وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها)[181]

أقسم تعالى بالشمس وانبساط ضوئها على الأرض، وبالقمر حال كونه تالياً للشمس، وبالنهار إذ أظهر الأرض للأبصار، وبالليل في حال تغطيته الأرض، وبالسماء وبانيها، وبالأرض والذي طحاها، وبنفسٍ والذي سوّاها أي أبدعها وخلقها[182] ، ثم أردف سبحانه فقال: (فألهمها فجورها وتقواها)، أي أنه تعالى عرّف النفس الإنسانية صفة فعلها من تقوى أو فجور وميّز لها ما هو تقوى مما هو فجور[183].

المقسم عليه إما أن يكون جملة (قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دسّاها)، فيكون المقسم عليه هو تحقيق فلاح المؤمنين بسبب تزكيتهم لأنفسهم، وخيبة

المشركين بسبب تدسيس أنفسهم، لأن (التزكية هي الإتمام والإعلاء بالتقوى... والتدسية هي النقص والإخفاء بالفجور)[184].

والصلة على هذا بين المقسم به والمقسم عليه هي أنه تعالى أقسم بهذه الآيات المتعددة التي فيها نعم الله لعباده والمسببة لاستمرارية عجلة الحياة، أقسم على فلاح الإنسان المؤمن وطاعته لربّه وتزكيته لنفسه، وعلى خيبة وخسران الإنسان المشرك ومخالفته أوامر ربّه وإيلاجه نفسه في الفجور.

وقيل يجوز أن تكون جملة (قد أفلح...) معترضة بين القسم وجوابه، وجملة (كذّبت ثمود بطغواها) [185]جواباً للقسم (باعتبار ما فُرِّعَ عليها بقوله: فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم، أي حقّاً لقد كان ذلك لذلك، ولام الجواب محذوف تخفيفاً لاستطالة القسم)[186]

وعلى هذا تكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أنه تعالى أقسم بهذه الأقسام التسعة المتضمنة للخالق ومخلوقاته من أجل (التعريض بتهديد المشركين الذين كذّبوا الرسول طغياناً هم يعلمونه من أنفسهم كما كذّبت ثمود رسولَهم طغياناً، وذلك هو المحتاج إلى التأكيد بالقسم... فكأنه قيل: أقسم ليصيبكم عذابٌ كما أصاب ثمود، ولقد أصاب المشركين عذاب السيف بأيدي الذين عادَوْهُم وآذَوْهُم وأخرجوهم، وذلك أقسى عليهم وأنكل)[187].

سورة الليل.

- قال سبحانه: (والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلّى. وما خلق الذكر والأنثى. إنّ سعيكم لشتى)[188].

المقسم به الليل في وقت غشيانه، والنهار وقت تجلّيه، وخالق الذكر والأنثى على اختلاف صنفيهما من ذكر وأنثى. المقسم عليه (إنّ سعيكم لشتى) أي اختلاف سعي الإنسان في حياته الدنيا وجزاؤه في العقبى.

سياق الآيات يظهر أن العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه علاقة تقابل وتفاوت، فعلى ما يتفاوت الليل إذا يغشى بظلماته، والنهار إذا تجلّى بضيائه، وما يتفاوت الذكر والأنثى، يتفاوت سعي الإنسان في الدنيا بين ضلال وهدىً، وهذا ما أكدته الآيات اللاحقة في أعطى واتقى وصدّق بالحسنى، ومن بخل واستغنى وكذّب بالحسنى، ثم تفاوت الثواب والعقاب في الحياة الآخرة بين الأتقى الذي يسّره تعالى

لليسرى ويجنب النار التي تلظّى بعد أن اتقى ربّه الأعلى، وبين الأشقى الذي ييسّره سبحانه للعسرى ويصلى النار التي تلظّى بعد أن كذّب وتولّى[189].

سورة الضحى.

- قال تعالى: (والضحى. والليل إذا سجى. ما ودّعك ربّك وما قلى)[190].

ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أن الوحي انقطع عن النبي محمد أياماً فقال المشركون أنّربّ محمد قد ودّعه وقلاه فنزلت السورة. وقد تناقلت أكثر كتب التفسير هذا السبب.

المقسم به شيئان هما: الضحى، أي وقت انبساط نور الشمس، والليل إذا سجى، أي إذا سكن. فأقسم سبحانه بالضحى لمناسبته الوحي في نزوله، وأقسم بالليل إذا سكن لمناسبته احتباس الوحي أو فتوره.

المقسم عليه (ما ودّعك ربّك وما قلى)، أي ما تركك ربُّك يا محمد، وفيه نفي من الله تعالى أن يكون قد ترك نبيّه المصطفى، ثم أردف سبحانه بواو العطف، قائلاً: (وما قلى)، أي وما أبغضك.

ومن تأمل سياق السورة المباركة يجد العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة جلية في(مطابقة هذا القسم، وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه : ودّع محمداً ربُّه. فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، وأيضاً فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس، وهذان للعقل وأيضاً فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم)[191].

وإلى مثل هذا ذهبت د. بنت الشاطئ في تفسيرها البياني لسورة الضحى في تلمس العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه إذ تقول: (المقسم به في آيتي الضحى، صورة مادية وواقع حسّي، يشهد به الناسُ في كل يوم تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجى وسكن، دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالين

عليه ما يبعث على إنكار بل دون أن يخطر على بال أحد، أن السماء قد تخلّت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النهار، فأي عجب في أن يجيء، بعد أنس الوحي وتجلّي نوره على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فترة سكون يفتر فيها الوحي، على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى المتألق)[192].

سورة التين.

- قال تعالى: (والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين. لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين)[193].

كثرت أقوال المفسرين في التين والزيتون، فقيل المراد بها(الفاكهتان المعروفتان أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمة والخواص النافعة، وقيل المراد بهما الشجرتان التين والزيتون، وقيل المراد بالتين الجبل الذي عليه دمشق وبالزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، ولعل إطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبتيهما ولعل الإقسام بهما لكونهما مبعثي جم غفير من الأنبياء وقيل غير ذلك)[194].

المقسم به هو التين والزيتون، وطور سينين، والبلد الأمين، أي أن الله تعالى أقسم (بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله، أصحاب الشرائع العظام، والأمم الكبيرة، فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما: وهو أرض بيته المقدس. فإنها أكثر البقاع زيتوناً وتيناً... وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم، كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى، فإنه الجبل الذي كلّمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه، ثم أقسم بالبلد الأمين، وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله، سيد ولد آدم. وترقّى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل. فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه)[195].

فالأشياء المقسم بها . إذن ـ هي أماكن مبعث الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام)، ومبعث رسالاتهم اليهودية والمسيحية والإسلامية.

المقسم عليه (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) أي بداية خلق الإنسان على أفضل وأحسن تقويم معنوي خلقي، فـ(التقويم جَعْلُ الشيء ذا قوام، وقوام الشيء ما

يقوم به ويثبت، فالإنسان والمراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقة)[196]، وبهذا يكون صالحاً لأن يعرج إلى الله سبحانه ويفوز عنده بحياة خالدة سعيدة لا شقوة فيها، ثم يكمل تعالى جواب قسمه، قائلاً: (ثم رددناه أسفل سافلين)، فمثلما أقسم على بداية خلق الإنسان وما جبل عليه من تقويم، أقسم على نهايته وأنه أسفل سافلين، وذلك حينما يخالف أوامر الله ونواهيه فيكون مقامه (مقام منحطٍ هو أسفل من سفل من أهل الشقوة والخسران ، والمعنى ثم رددنا الإنسان إلى أسفل من سفل من أهل العذاب)[197] .

والمتأمل جواب القسم يرى كيف ناسب تعالى بينه وبين المقسم عليه ، فهو تناسب رائع لطيف وفيه ملاءمة بديعة، فإقسامه تعالى برسالاته وأماكن مظهر رسله كان على منهج الإنسان وطبيعته، وهي أنه مخلوق بأحسن تقويم فانقسم الناس تجاه الرسالات والرسل فريقين فـ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)[198] ، ومن كفر وعصا وأبى التصديق بالرسالات والرسل فهو مردود (أسفل سافلين).

الخاتمة:

لعل قارئ هذه الصفحات التي تناولت العلاقة السياقية بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم تطبيقا سُبق بمهاد نظري استوجب تناول ما له صلة بالبحث ، لعله يجد فيها ما يفيد ؛ كونها تناولت أسلوب القسم في النص القرآني وفاق المنهج السياقي وقدمته بين يديه متلقيا ليقف على سرّ من أسرار إعجاز هذا النظم البياني المنفرد .

ولعلنا ـ في كتابة هذه الصفحات ـ نكون قد وفقنا في وضع خطوة تبعت خطوات من تقدمنا في طريق البحث والدراسة في كتاب لا ينضب وان جَهُدَ فيه الدارسون، ذلك هو كتاب الله الخالد، القرآن الكريم. والله ولي النعمة ومنه التوفيق.

الهوامش:

1 . الصحاح: 2 / 1138 ـ 1139.

2 . أساس البلاغة: مادة (سَوَقَ): 1 / 232.

3 . لسان العرب: مادة (سَوَقَ): 10 / 166.

4 . المعجم الوسيط: 1 / 963 .

5 . ينظر: البحث الدلالي عند الأصوليين: 28.

6 . معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: 83.

7 . المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: 116.

8 . ينظر الدلالة السياقية عند اللغويين: 52.

9 . منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص): 331.

10 . العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية الشريفة: 152.

11 . ينظر: م . ن: 152.

12 . منازل الرؤية: 20.

13 . ينظر: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية: 49 .

14 . العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية: 153.

15 . ينظر: م . ن: 153.

16 . بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية: 49.

17 . المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية: 129.

18 . العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية : 155 .

19 . ينظر: م . ن: 156 . 157.

20 . نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا): 12.

21 . ينظر: علم لغة النص: 221 . 222.

22 المخصص: 13 / 11 .

23 . لسان العرب: مادة (قَسَم): 12 / 478.

24 . مباحث في علوم القرآن (للقطان): 291.

25 . النحل / 38.

26 . الليل / 1.

27 . الأنبياء / 57.

28 . ينظر: التبيان في أقسام القرآن: 8 ، ومباحث في علوم القرآن (للقطان): 291.

29 . ينظر: التعبير الفني في القرآن الكريم : 247.

30 . إمعان في أقسام القرآن: 15.

31 . ينظر: م . ن: 12.

32. ينظر: إمعان في أقسام القرآن: 13، والتعبير الفني في القرآن الكريم: 248.

33 . ديوان زهير: 106.

34 . آل عمران / 112.

35 . البقرة / 2260.

36 . ينظر: إمعان في أقسام القرآن: 14.

37 . الإتقان في علوم القرآن: 2 / 46.

38 . آل عمران / 18.

39 . يونس / 53.

40 . ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 2 / 46.

41 . الكشف والبيان في علوم القرآن: 289 ـ 290.

42 . الذاريات / 22 ـ 23.

43 . الإتقان في علوم القرآن: 2 / 46.

44 . الكتاب: 2 / 293.

45 . م . ن: 2 / 293 (من شواهد سيبويه).

46 . المغني: 143.

47 . ينظر: القسم في القرآن الكريم ـ تركيباً ودلالةً: 17، وأسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ـ بلاغته وأغراضه: 14.

48 . فاطر / 42.

49 . الأعراف / 16.

50 . المائدة / 53.

51 . البيت نسبه ابن منظور إلى غوية بن سلمى ، اللسان: 15 / 443، وهو في شرح المفصل بلا نسبة: 8 / 34.

52 . ديوان ابن قيس الرقيات: 137.

53 . الكتاب: 2 / 293.

54 . الحجر / 72.

55 . شرح جمل الزجاجي: 1 / 544.

56 . التبيان في أقسام القرآن: 7.

57 . آل عمران / 191.

58 . الشمس / 7 . 8.

59 . القيامة / 2.

60 . ينظر: القسم الظاهر قي القرآن الكريم: 12.

61 . شرح جمل الزجاجي: 1 / 549.

62 . التكاثر/ 5.

63 . ينظر: التبيان في أقسام القرآن: 7 . 8.

64 . القيامة / 1 ـ 2.

65 . القيامة / 3 وما بعدها.

66 . ينظر: مباحث في علوم القرآن (للقطان): 293 ـ 294.

67 . يوسف / 85.

68 فاطر / 42.

69 . الذاريات / 7 ـ 8 .

70 . التراكيب اللغوية في العربية: 239.

71 . م . ن: .240

72 . آل عمران / 18.

73 . مباحث في علوم القرآن (للقطان): 293.

74 . مريم / 71.

75 . مريم / 68 ـ 70.

76 . ينظر: أسلوب القسم في القرآن الكريم: 2 . 3.

77 . النحل / 56.

78 . النحل /.51

79 . التحرير والتنوير: 14 / 181.

80 . النساء/85.

81. يونس / 53.

82 . يونس / 52.

83 . التحرير والتنوير: 11 / 195.

84 . م . ن: 11 / 196.

85 . المصدر نفسه.

86 . المعارج / 40 ـ 41.

87 . ينظر : التحرير والتنوير: 29 / 179.

88 . تفسير الميزان: 20 / 24.

89 . المصدر نفسه.

90 . المصدر نفسه.

91 . التبيان في أقسام القرآن: 129 ـ 130.

92 . الحجر / 71 ـ 73.

93. التحرير والتنوير: 14 / 67.

94 . م . ن: 14 ـ 68.

95. تفسير الميزان: 12 / 183.

96 . يس / 2 ـ 3.

97 . تفسير الميزان: 17 / 63.

98 . ق / 1.

99. ينظر: مفردات الراغب: 2 / 366.

100 . التحرير والتنوير: 26 / 276.

101 . التبيان في أقسام القرآن : 284.

102 . الزخرف / 1 ـ 3.

103 . الدخان / 13.

104 . التحرير و التنوير: 25 /.159

105. م .ن :25 /.277

106. م .ن :25 /.159

107. الأقسام في القرآن الكريم:.68

108. النجم /1ـ 4.

109. ينظر: التحرير و التنوير:27 /92ـ .93

110. م .ن :27 /92 ـ .93

111. الواقعة /75 ـ 78 .

112. التحرير و التنوير:39 /338.

113. التفسير البياني:1 ـ 166.

114. م . ن .
115. التبيان في أقسام القرآن: 147.
116. م . ن:.146
117. ينظر: م . ن:146.
118. م . ن:146.
119. م . ن:167.
120. العصر / 1 ـ 3.
121. جامع البيان في تأويل القرآن: 24 / 60، والتبيان في أقسام القرآن : 57 .
122. تفسير الميزان: 20 / 409.
123. الآيات على التوالي: الضحى / 1 ـ 2، والمدثر / 34.
124.ينظر: التحرير والتنوير: 30 / 529 ـ 530.
125. التفسير البياني: 2 / 80 ، وينظر: 2 / 75.
126. التبيان في أقسام القرآن: 57 ـ 58.
127. الذاريات / 7 ـ 9.
128. التبيان في أقسام القرآن: 190.
129. التحرير والتنوير: 26 / 340.
130. التبيان في أقسام القرآن: 191.
131. الصافات / 1 ـ 4.
132. تفسير الميزان: 17 / 123.
133. ينظر: التبيان في أقسام القرآن: 285.
134. التحرير والتنوير: 23 / 83 .
135. الصافات / 4 ـ 5 .
136. التبيان في أقسام القرآن: 286..
137. الطور / 1 ـ 8 .
138. ينظر: التحرير والتنوير: 27 / 37 ـ 39.
139. ينظر: التبيان في أقسام القرآن: 179.
140. م . ن: 175.
141. الحاقة / 38 ـ 43.

142. التحرير والتنوير: 29 / 140 ـ 141.
143. الكشاف: 568 .
144. تفسير الميزان: 19 / 420.
145. م . ن : 19 / 420.
146. المدثر / 32 ـ 37.
147. ينظر: التحرير والتنوير: 19 / 321.
148. المدثر / 31.
149. التبيان في أقسام القرآن: 78..
150. المرسلات / 1 ـ 7.
151. ينظر: التحرير والتنوير: 29 / 419 ـ 421 ، وتفسير الميزان: 20 / 159 ـ 160.
152. التبيان في أقسام القرآن: 97.
153. تفسير الميزان: 20 / 160.
154. التحرير والتنوير: 29 / 419.
155. تفسير الميزان: 20 / 161.
156. النازعات / 1 ـ 9.
157. ينظر : تفسير الميزان: 20 / 195 ـ 196 ، والتحرير والتنوير: 30 / 61 ـ 62 ، والتفسير البياني: 1/.123
158. ينظر: التبيان في أقسام القرآن: 91.
159. تفسير الميزان: 20 / 198 ـ 199..
160. التبيان في أقسام القرآن: 93.
161.التحرير التنوير: 30 / 65 ـ 66..
162. الانشقاق / 16 ـ 21.
163. مفردات الراغب: 1 / 545.
164. التبيان في أقسام القرآن: 74.
165. ينظر: تفسير الميزان: 20 / 274.
166. التبيان في أقسام القرآن: 76 ـ 77..
167. الطارق / 1 ـ 4.
168. الطارق / 11 ـ 14.

169. التبيان في أقسام القرآن: 68.

170. القسم في القرآن ـ تركيباً ودلالةً : 112.

171. انظر على سبيل المثال لا الحصر: جامع البيان للطبري ، ومعالم التنزيل للبغوي ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، ومجمع البيان للطبرسي ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي .

172. الطارق / 8 ـ 9.

173. المؤمنون / 35.

174. المؤمنون / 82.

175. من أسرار القسم في القرآن الكريم: 566 .

176. الفجر / 1 ـ 5.

177.ينظر: التفسير البياني: 2 / 126 ، 129 ، 132 ، 134 ـ 135.

178. التحرير والتنوير: 30 / 316.

179. تفسير الميزان: 20 / 317.

180. الأقسام في القرآن الكريم: 158.

181. الشمس / 1 ـ 10 .

182. ينظر: تفسير الميزان: 20 / 337 ـ 338.

183. ينظر: م . ن: 20 / 338.

184. الأقسام في القرآن الكريم: 171.

185. الشمس / 11.

186. التحرير والتنوير: 30 / 372.

187. م . ن: 30 / 372.

188. الليل / 1 ـ 4.

189. ينظر: التفسير البياني: 2 / 103.

190. الضحى / 1 ـ 3.

191. التبيان في أقسام القرآن: 50.

192. التفسير البياني: 1 / 26.

193. التين / 1 ـ 4.

194. تفسير الميزان: 20 / 364 ـ 365.

195. التبيان في أقسام القرآن: 32 ـ 33.

196. تفسير الميزان: 20 / 365.

197. م . ن: 20 / 366.

198. التين / 6.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم .

- أساس البلاغة ـ أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ـ دار الفكر ـ لبنان ـ 1399 هـ .
- أسرار القسم في القرآن الكريم (بحث) ـ د. سليمان بن علي ـ مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ـ ج / 19 ـ ع / 31 ـ رمضان ـ 1425 هـ .
- أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم / بلاغته وأغراضه ـ د. سامي عطا حسن ـ منشورات جامعة أهل البيت ـ المفرق ـ المملكة الأردنية الهاشمية .
- إمعان في أقسام القرآن ـ عبد الحميد الفراهي ـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة ـ 1349 هـ .
- الإتقان في علوم القرآن ـ تأليف الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ضبطه وصححه وخرّج أبياته : محمد سالم هاشم ـ الناشر : فخر الدين ـ قم ـ إيران .
- الأقسام في القرآن ـ العلاّمة المحقق جعفر السبحاني ـ ط / 1 ـ مطبعة الاعتماد ـ قم ـ 1420 هـ . ق .
- البحث الدلالي عند الأصوليين ـ محمد يوسف حبلص ـ ط / 1 ـ مكتبة عالم الكتب ـ 1411 هـ ـ 1991م.
- التبيان في أقسام القرآن ـ لابن القيم الجوزية (ت 751 هـ) ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة .
- التراكيب اللغوية في العربية / دراسة وصفية تطبيقية ـ د. هادي نهر ـ ط / 1 ـ دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ 2004 م .
- التعبير الفني في القرآن الكريم ـ د. بكري شيخ أمين ـ ط / 1 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1994 م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم ـ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ـ ج / 1 ـ ط / 7 وج /2 ـ ط / 5 ـ دار المعارف ـ ج . م . ع ـ 1990 / .

- التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم (بحث) ـ د. ناصر بن محمد آل عشوان ـ مجلة الدراسات القرآنية ـع / 6 ـ جمادي الأولى/ 1431 هـ ـ مايو/ 2010 م
- الدلالة السياقية عند اللغويين ـ د. عواطف كنوش مصطفى ـ ط / 1 ـ دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ـ لندن ـ 2007 م .
- العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية (بحث) ـ د. عبد المهدي هاشم الجراح ـ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ الأردن ـ 2003 م .
- القسم في القرآن الكريم / تركيباً ودلالةً (رسالة ماجستير) ـ عبدالله علي الهتاري ـ كلية الآداب ـ جامعة اليرموك ـ الأردن ـ 1999 م .
- الكتاب ـ لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت 180هـ) ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ ط / 1 ـ دار الجيل ـ بيروت .
- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ 1947 م .
- الكشف والبيان في علوم القرآن ـ د. سمير عبد العزيز شليوة ـ مطبعة دار البيان بمصر
- المخصص ـ ابن سيده ـ المكتب التجاري ـ بيروت .
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ـ محمد أحمد أبو الفرج ـ ط / 1 ـ دار النهضة العربية ـ 1966 م
- المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ـ دار المعارف بمصر .
- المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية ـ وليم راي ـ ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ـ ط / 1 ـ دار المأمون ـ بغداد ـ 1987 م .
- الميزان في تفسير القرآن ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ـ ط / 1 ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ 1417 هـ ـ 2000 م .
- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ـ المنصف عاشور ـ تونس ـ جامعة تونس ـ 1991 م .
- تاج اللغة وصحاح العربية ـ إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت1002هـ) ـ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ـ ط / 4 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1990 م .
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ـ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393 هـ) ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس .